الصلف

جورج شاهين

عام على تفاهم 27 تشرين الثاني 2024: مشاريع التسوية واكبت موجات العدوان وعدّاد الضحايا

قبل نهاية الشهر الجاري يكتمل عقد السنة الاولى على التوصل الى تفاهم 27 تشرين الثاني 2024، الذي قال بوقف العمليات العدائية في لبنان ولم يرقَ الى اي اتفاق لوقف اطلاق النار بعدما احيا العمل بالقرار 1701 وما قال به ولم ينفذ منذ تاريخ صدوره في 12 آب عام 2006 ايذانا بوقف حرب تموز

فيما بقيت الوساطات قائمة حتى صدور هذا العدد من "الامن العام"، فان القاء الضوء على ما سبق وتلا هذا التفاهم، واجراء جردة لما شهدته هذه المرحلة من احداث ومحطات، يبقى امرا مفيدا لانعاش الذاكرة وتاريخ هذه المرحلة الصعبة التي عاشها اللبنانيون ولم يخرجوا منها بعد الى بر الامان.

لا يمكن مقاربة عملية اغتيال الامين العام الاسبق لحزب الله السيد حسن نصر الله قبل 60 يوما من التوصل الى تفاهم 27 تشرين الثاني 2025 وخلفه السيد هاشم صفي الدين بأيام قليلة، والتي قادت اليه من دون اجراء جردة بمسلسل الاغتيالات التي وصفت بانها كانت مسارا انتهى بتشكيل المسرح العسكري الكبير لاستهداف قادة الحزب ومعهم قادة من حركة حماس التي قرر الحزب مساندتها في غزة والهاء اسرائيل عن العمليات العسكرية فيها. في اطار عمليات الاغتيال التي استهدفت قادة الحزب وحركة حماس ومقاتليهم في كل لبنان، يمكن الاشارة الى موجة الاغتيالات التي طاولت القيادات بدءا من اغتيال النائب السابق لرئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الاسلامية حماس، والذي ساهم في تأسيس كتائب القسام الجناح العسكري لحماس في الضفة الغربية الشيخ صالح العاروري. عندما استهدف في 2 كانون الثاني العام الماضي ابان وجوده في مكتب للحركة في شارع السيد هادي نصر الله في عمق الضاحية الجنوبية وقتل معه 6 آخرون، فيما نجت من العملية مجموعة من مسؤولين حزبيين لبنانيين الذين غادروا الاجتماع قبل استهدافه بلحظات.

بعد أشهر من غياب الاغتيالات الكبرى، استهدف في 9 تموز 2024 قرب احد حواجز الفرقة الرابعة السورية في ريف دمشق، احد ابرز مرافقي السيد نصر الله سابقا ابوالفضل كرنبش. ثم فوجئت الاوساط السياسية والعسكرية باغتيال رئيس الاركان في الحزب فؤاد شكر ليل 30 تموز في غارة شنتها الطائرات الاسرائيلية في عمق الضاحية الجنوبية. بعد ساعات قليلة على مراسم دفن شكر، جاء الخبر من طهران ليل 31 تموز باغتيال رئيس المكتب السياسي في حركة حماس ورئيس الوزراء الفلسطيني الاسبق اسماعيل هنية في احد قصور الضيافة التابعة للحرس الثوري الايراني حيث كان يشارك في مراسم تنصيب الرئيس الايراني الجديد مسعود بزشكيان.

على وقع حركة الموفدين الساعين الى الفصل بين ما يجري في جنوب لبنان وغزة، بقيت معظم الافكار المطروحة مجرد مشاريع فاشلة حالت دونها شروط وشروط مضادة. ولما لم يستمع احد الى مضمون البعض منها، ولا سيما تلك التي حملها الموفد الرئاسي الاميركي آموس هوكشتاين الى المسؤولين اللبنانيين في 16 ايلول 2024 منبها من مخاطر سقوط مشاريع الوساطة ومجموعة المبادرات التي انهارت تباعا.

نقل يومها عن هوكشتاين خوفه من تفلت رئيس الحكومة الاسرائيلية بنيامين نتنياهو من سلسلة الضغوط الاميركية التي جنبت المس بالقطاعات الحيوية في لبنان والمرافق العامة ولا سيما المرفأ والمطار. مرد ذلك كما قال، ان ادارته باتت على عتبة دخول مدار الانتخابات الرئاسية التي يخوضها الرئيس دونالد ترامب في مواجهة كاميلا هاريس نائبة الرئيس السابق جو بايدن بعد تنحيه عن الترشح، وهو امر سيشغلها عما يجري في لبنان والمنطقة.

وما ان عاد هوكشتاين الى بلاده حتى فوجئ العالم بتفجير بضعة آلاف من اجهزة "البيجر" الموجودة في حوزة عناصر الحزب وعدد من المسؤولين، مما ادى الى استشهاد العشرات واصابة الالاف من عناصره ومعهم العاملون في المؤسسات الادارية والشعبية والاجتماعية، الى درجة فقدان البصر كليا او جزئيا وفي البطون والرؤوس والاطراف. وقبل ان تستوعب البيئة المستهدفة الصدمة الناجمة عن

العملية، فوجئت بضربة ثانية شبيهة بها، في 18 ايلول عندما انفجرت اجهزة "الووكي توكي" في أيدي حامليها من المقاتلين الميدانيين فأضيف المئات من الجرحى والمعوقين الى لائحة الضحايا.

لم يتوقف مسلسل العمليات العسكرية الموجعة، لا سيما بعدما تكثفت الغارات على الضاحية الجنوبية ومناطق أخرى، الى ان استهدفت احدى الغارات بأربعة صواريخ ثقيلة خارقة في 20 ايلول قائد قوة الرضوان في الحزب ابراهيم عقيل ومعه حوالى 20 من قادة الوحدات التابعة لها، لحظة وجودهم في اجتماع استثنائي في مقر سري تحت الارض يعلوه مبنى من 10 طبقات.

قادت كثافة العمليات العسكرية وحصيلتها المريعة الى ارتفاع منسوب التوتر، ومعها حركة الاتصالات الديبلوماسية الدولية والمحلية على

> **اغتالت اسرائيل الامين العام لحزب الله وخلفه وقادة الصف الاول**

هامش الاجتماعات الجارية في مقر الامم المتحدة في نيويورك. وفيما كان وزير الخارجية عبدالله بوحبيب يسعى الى ترتيب وقف للنار، قصد الامم المتحدة في 25 منه رئيس حكومة تصريف الاعمال نجيب ميقاتي حاملا موافقة حزب الله على وقف لاطلاق النار نقله اليه رئيس مجلس النواب نبيه بري، حتى رد نتنياهو بالضربة الكبرى في اعقاب

خطابه على منصة الامم المتحدة يوم الجمعة 27 ايلول، بقرار اغتيال الامين العام للحزب السيد حسن نصرالله بحوالى 80 طنا من المتفجرات ازالت مربعا سكنيا من 4 مبان، فاستشهد مع 13 من مساعديه وجنرال ايراني كبير من قيادة الحرس الثوري الايراني.

تزامنا مع موجات الادانة الدولية والعربدة الإسرائيلية، وتجاهل رئيس حكومتهم كل الضغوط الدولية، مضى في برامج الاغتيال والعمليات الجوية التدميرية في مناطق مختلفة من لبنان مستهدفة مراكز النازحين بحجة رصد زيارات قام بها مسؤولون من الحزب الى عائلاتهم حيث انتشروا في مراكز الايواء في الشمال ما بين ايطو وعكار وفي وسط جبيل، كذلك في اقليم الخروب والشوف والبقاع، الى ان استهدف قبل منتصف ليل الخميس في 3 تشرين الاول 2024 بنحو 73 طنا من القنابل رئيس المجلس التنفيذي في الحزب السيد هاشم صفي الدين الذي كان مرشحا لتولي مهام سلفه السيد نصر الله، في مقر الاستخبارات في حارة حريك ومعه رئيس الاستخبارات في الحزب حسين هزيمة المعروف باسم "مرتضى"، وعدد من قادة الحزب.

لم يغير اغتيال نصرالله وخلفه صفي الدين والقادة من اعضاء المجلس الجهادي وقادة المحاور ومئات العناصر من حدة العمليات العسكرية، لا بل فقد رفع الحزب من حجم القصف الصاروخي وبالطائرات المسيرة في اتجاه العمق الاسرائيلي من حيفا الى مجموعة من القواعد العسكرية والمخابراتية، عدا عن المستعمرات المواجهة للبنان، تزامنا مع غارات عنيفة اسرائيلية استهدفت مناطق واسعة من لبنان والضاحية الجنوبية. ودخلت إيران على خط العمليات العسكرية مباشرة بعد طول انتظار وقصفت في 13 نيسان 2024 مناطق في قلب اسرائيل في رد وصف بأنه جاء ردا على استهداف القنصلية الايرانية في دمشق في 1 نيسان والذي اسفر عن مقتل 16 شخصا.

وكان ذلك قبل ان ترد اسرائيل في 19 من الشهر عينه بقصفها منشأة للدفاع الجوي في اصفهان ومنشآت كهربائية في طهران ومحيطها. وتكررت العمليات الإسرائيلية في 26 تشرين الاول 2024، عندما شنت اسرائيل ضربات على العاصمة الايرانية طهران ومناطق مختلفة في عملية ◄

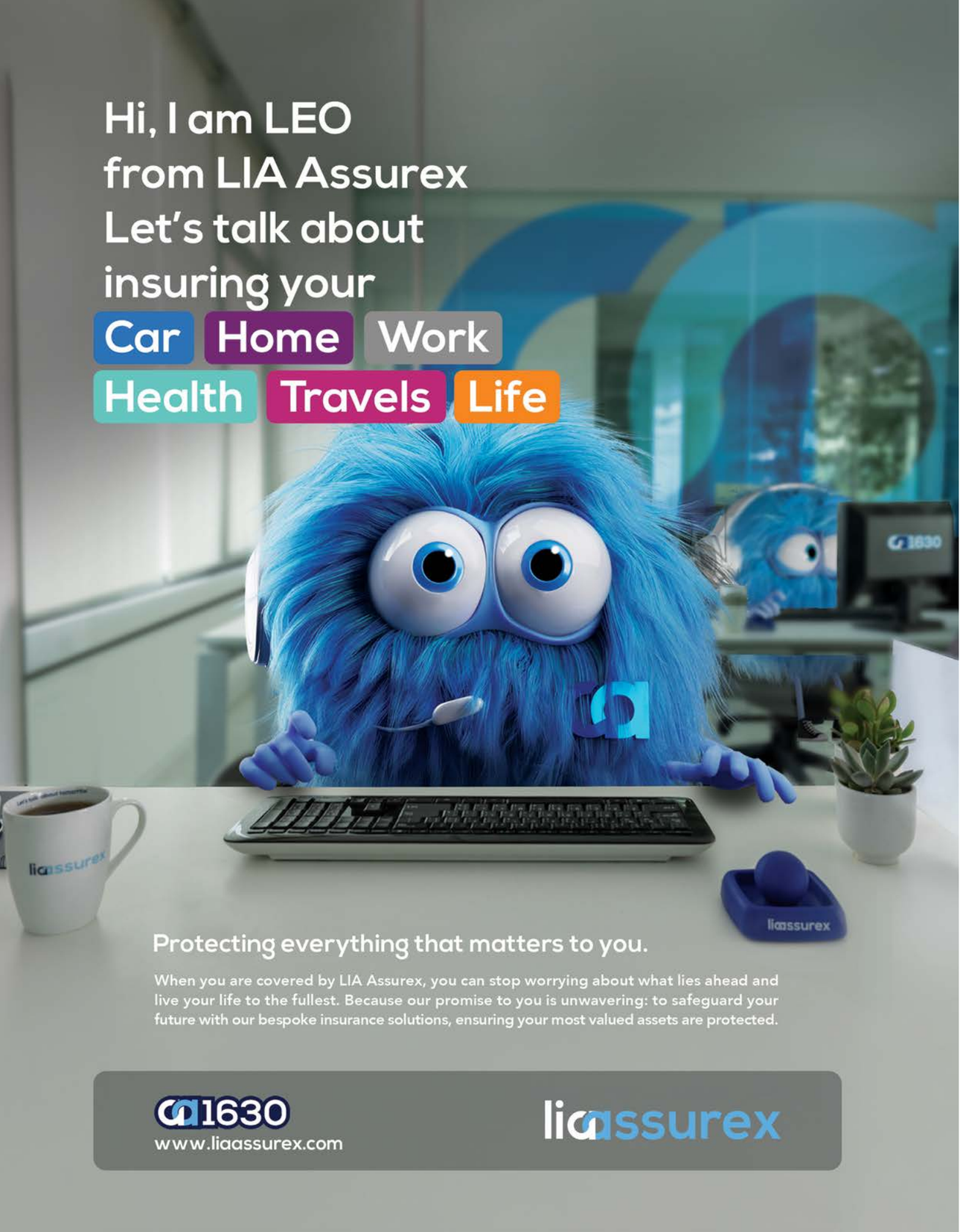

◄ "ايام التوبة". بقيت الاجواء بين طهران وتل ابيب متوترة الى ان اندلعت في 13 حزيران 2024 العملية الكبرى التي استهدفت فيها اسرائيل في ساعاتها الاولى عددا كبيرا من المواقع العسكرية والنووية والكهربائية من بينها 3 مواقع تخصيب نووية في منشآت اصفهان، نطنز وفوردو، ادت الى مقتل اكثر من 985 شخصا واصابة اكثر من 4700 إيراني، من بينهم خبراء نوويون وقادة في الحرس الثوري الايراني وقيادة الأركان، في عملية استخدمت فيها نحو 100 طائرة وتسببت باندلاع حرب تركزت على المنشآت النووية الايرانية والكهربائية الحيوية والمباني العسكرية والمقرات الدينية. وانتهت الى وقف للنار في 24 حزيران، بعدما ضربت الطائرات الاميركية التي جاءت خصيصا من الولايات المتحدة الاميركية في 23 حزيران منشآت مفاعلي فوردو واصفهان ومواقع أخرى. ردت عليها ايران بفارق ساعات قليلة بستة صواريخ في اتجاه قطر حيث تقع قاعدة العديد الاميركية واخرى في جوار قواعدها في العراق. كما استهدفت الصواريخ البالستية والمسيرات الحديثة الايرانية التي تمكنت من الوصول الى اهدافها في العمق الإسرائيلي، واحداث دمار هائل لم يعتد الاسرائيليون عليه في مواقع حساسة عسكرية ونفطية. فبدأوا هجمات استهدفت السفن التي تقصد الموانئ الاسرائيلية عبر البحر الاحمر وقناة السويس، قبل ان تقصف في 19 تشرين الاول 2024 مدمرة الصواريخ الاميركية الموجهة "يو اس اس كارني" من فئة "ارلي بيرك" مواقع في البحر الأحمر. فيما اشارت تقارير الى ان المدمرة "يو اس اس كارني" اعترضت ثلاثة صواريخ مجنحة ومسيرات من دون ان تلحق بها اضرارا ومن دون سقوط ضحايا.

كما اطلق الحوثيون في 17 تشرين الثاني 2024 اولى صواريخهم على المدن الاسرائيلية والمطارات والقواعد العسكرية، في موازاة موجات العنف في قطاع غزة وجنوب لبنان، مما ادى الى رفع منسوب التوتر.

على هذه الوتيرة، تواصلت عمليات القصف من اليمن في اتجاه اسرائيل طيلة الفترة الممتدة حتى وقف النار في غزة الشهر الماضي. وترافق ذلك مع اعلانات يمنية عن اسقاط طائرات اميركية فوق مناطقهم من نوع "ام كيو- 9" واصناف اخرى.

كما تزامنت العمليات اليمنية مع إطلاق "المقاومة الاسلامية في العراق" التي تضم فصائل موالية لايران، في 10 تشرين الثاني، اربع هجمات بمسيرات ضد اهداف في شمال اسرائيل وجنوبها، لكن ذلك لم يدم طويلا بعدما اعلنت هذه الجماعات انها اوقفت عملياتها بعد تهديدات داخلية واخرى خارجية ابرزها من القواعد الاميركية في العراق.

"تدمير اكثر من 35 قرية جنوبية حدودية منذ ان تم التوصل الى التفاهم"

في موازاة العمليات العسكرية، تعددت المبادرات الديبلوماسية التي اطلقتها الولايات المتحدة عبر موفديها آموس هوكشتاين ابان ولاية الرئيس الاميركي السابق جو بايدن ومع كل من مورغان اورتاغوس والسفير توم باراك بعدما دخل الرئيس دونالد ترامب الى البيت الأبيض، ومعهم الموفدون الفرنسيون الذين عملوا الى جانب المجموعة الخماسية الدولية من اجل لبنان مع الموفدين القطريين والسعوديين والمصريين ومسؤولي الجامعة العربية. وعلى وقع الحراك الديبلوماسي، غابت المشاريع التسووية الكبرى، ولم تكتمل اي منها الى درجة يمكن ان تصل فيها الى اي انجاز. وكان لافتا ان كل ما جرى ويجري بقي قائما في ظل خلو سدة الرئاسة من شاغلها منذ نهاية ولاية رئيس الجمهورية العماد ميشال عون في نهاية تشرين الاول عام 2022 قبل سنة تقريبا على اندلاع عملية "طوفان الاقصى" في قطاع غزة في 7 تشرين الاول 2023 وملاقاتها من قبل حزب الله بحرب "الالهاء والاسناد" في وقت لاحق. ولم تنته هذه الفترة الا في 10 كانون الثاني 2025 بانتخاب قائد الجيش العماد جوزف عون رئيسا للجمهورية.

في المحصلة، تستدعي العودة الى مرحلة المفاوضات بإجراء جردة تتناول بعض المشاريع والمبادرات التي اطلقت من دون جدوى بعدما اجمعت كخطوة اولى على ضرورة الفصل بين ما يجري في جنوب لبنان عن قطاع غزة وانهاء العمليات العسكرية، حصر السلاح غير الشرعي بأيدي الجيش والقوى العسكرية والامنية اللبنانية، وصولا الى شرطة البلدية وهو امر لم يكن سهلا على الاطلاق قبل التوصل الى تفاهم 27 تشرين الثاني 2024. كل ذلك عبر على الرغم من اغتيال اسرائيل اكثر من 365 لبنانيا وتدمير اكثر من 35 قرية جنوبية حدودية منذ ان تم التوصل الى هذا التفاهم حتى الامس القريب.

ان كل ما جرى، عزز القناعة التي تولدت باستحالة مساندة غزة والهاء الاسرائيليين عن عملياتهم الاجرامية فيها، بعدما دمرت القطاع بكامله وجعلته اكواما من ركام.